الآثارُ المطويّة (تابع)

جَمَعَها وعلّق عليها ونَشَرَها
الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

فصائد منفرقة في شؤونه متنوعة للشيخ ناصيف اليازجي

عكف الشيخ ناصيف اليازجي على التصنيف والتحبير بجَلَد ثابت وعزم ماضٍ ، وكان عشيره ورفيقه ونديمه وسميره ، قلمه الذي لم يتبرّم من منادمته ومسامرته طوال حياته ، فكان له خير جليس واصدق رفيق يسرُّ اليه ، ويحدب عليه ، مستطيباً عشرته ، مستعذباً مصاحبته ، فما نقض له عهدًا ولا نسيَ ودًّا .

أتصوَّر الشيخ جالساً الى مكتبه او متربعاً على حشيَّته (طرّاحته) امام منضدته الصغيرة المنشورة عليها الأوراق والاقلام حول الدواة ، مكبًّا على تأليف الكتب ونظم القصائد ومراسلة الأدباء والشعراء ، ودخان شُبُقه (غليونه) متصاعدًا متلوياً في فضاء غرفته عاقدًا الحلقات ، وبجانبه مجمرة يعلوها ابريق لقهوة البن ، وكلما مصّ منها مصّة متبعة بجَّة من ماسورة الشبق ، أسرع قلمه في جريه على القرطاس ، يتدفق الحبر من شق تلك القصبة فيسطر الدرر والغرر . وطالما ردّد هذين البيتين :

قهوة البُنّ حلالٌ ما نهى الناهون عنها
كيف تدعوها حراماً وانا اشرب منها

ويضيئه ويؤلمه ان يفاجئه زائر حين استراحته في جلوسه الى منضدته ، فيقطع عليه مجرى تصوّراته ويوقف قلمه عن الامتداد الى دواته ، ويشوّش هناءه في وحدته . لذلك كان يأمر لزائره بالقهوة في الحال ، اشارة لوجوب انصرافه ، ويعود الى قلمه القصبي فيغمسه في محبرته ويطلقه جرياً على عادته .

ان الشيخ كان ناعماً بعزلته وسكونه ، وصفاء ذهنه وجودة قريحته ، وانصبابه على اقلامه واوراقه ، ولولا ذلك ما كنا تمتّعنا بشراته اليانعة الشهيّة

الطيبة الشميم ، اخاوة صداق ، ولا استطاع قلمة المخصاب ان يأتي بمثل هذه الطرائف واللآلئ العديدة التي طوق بها جيد الادب العربي ، ورنَّ صداها في كلّ مكان وتردد اسمهُ على كلّ شفةٍ ولسان ، ويصحّ لنا ان نقول فيهِ ما قالهُ في احد علماء الرهبان :

سودتَ بيضاء الصحائف فاشتهت لو أشبهتها الأعينُ البيضاء

وان افضل وصف ينطبقُ عليهِ ويصدقُ فيه ويوجه اليه ، ما نظمه من ابيات قصيدة بعث بها الى صديقه الخوري حنانيا المُنيَّر الزوقي ، احد رهبان دير مار يوحنا الصابغ في الشوير[1] :

ولربَّ عبرةٍ اديه تحالفها بحرًا وليست بعض جزء الميلِ
تتدفَّق الاسرارُ منها مثلما دفقتْ غوادي السيل فوق سيلِ
تُغاصُ بها اقلامهُ فأتت بما يختار من اكبرها المحلولِ
حتى اذا عادت به رقصتْ على وجهِ الصحيفة ذات جرِّ ذيولِ
وقريحةٌ في النظم دون روائها طلع القريضُ بنزفِ وحجولِ

وظلّ قلم الشيخ ناصيف مطَّردًا في جريه يعبّ من محبرته ، غير عابئٍ بثقل شيخوخته الى ان ذهب في سبيل كل حي . لقد اقعده المرض واحتل جسمه الالم ، وشعر بقرب الاجل ، ومع ذلك بقي مستنيرًا بضياء عقله ، فخورًا بخصب قريحته ، مالكًا قوى روحه ، فكان يستقبل زائريه ، بتلك الطلاقة والبشاشة المعهودة فيه ، ويجيب مراسليه ، ضنينًا بالحفاظ على ذمام اصدقائه ومريديه ، الى ان نزلت به صرعة الموت ، في اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الاول ختام سنة ١٨٧١ ، فأخمدت انفاس ذلك القلم الذي اطرب الآذان بصريره ، وانطفأت تلك الشعلة في بيروت التي كانت انوارها مشعة في جميع الاقطار العربية

والدليل على انه استمرّ مزاولًا التحرير والتحبير الى اواخر ايامه ، هو ان الاب جرجس مناسا الغسطاوي ، احد ابناء رهبانيتنا اللبنانية ، ارسل اليه رسالة ضمّنها قصيدة في مدحه ، فجاوبه بقصيدة من نفس وزن قصيدة الاب مناسا وقافيتها . وهي اخر ما كتبه بخطه . ومطلعها :

---

١) للاب حنانيا المنيَّر كتاب خطي يتضمَّن تاريخ تأسيس الرهبانية الشويرية وذكر ما جرى في البلاد بعهده من الحوادث والحروب وضروب الظلم والجور . ولدينا نسخة منه بخطنا .

رسالة فاضل وردت فكانت أحسنَ اليَّ من تحف الهدايـا[1]

وكأن الشيخ تحقق قرب منيته فقال منها :

مضى من كان للتقريظ اهـلًا وأدبر كل طلّاع الثنايـا
وقد عـاد التراب الى تراب واصبحت الأفى يد المنايـا[2]

أقيم للشيخ مأتم حافل مشت فيه اعيان بيروت وطلّاب المدارس ، منهم الفيكونت فيليب دي طرازي ، على ما اخبرنا ، ينشدون مرثيّة بنغم محزن ، نظمت خصيصاً لمأتم الشيخ . ودُفن جثمانه في مقبرة اسرته بحلة الزيتونة في بيروت . وحُفر على بلاطة ضريحه تاريخ شعري من نظم ولده الشيخ ابرهيم اليازجي ، ومن اجدر منه برثاء ابيه وهو :

هذا مقـام اليازجيّ فقف به وقُل السلام عليك يا علَم الهدى
حرَمٌ تحجّ اليه ارباب الحجى ابـدًا وتدعو بالمراحم مرددا
هو مغربُ الشمس التي كم أطلعت في شرق آفاق البلاغة فرقـدا
فخرُ النصارى صاحبُ النور التي ضربت على ذكر البديع وأحمدا
هذا عمادُ العلم مال به القضا فأمـال ركنًا للعلوم مُشيّدا
اسمى تجـاه البحر جانب تربة هي مجمع البحرين اشرف مجتدى
فعليك يا ناصيف خير تحيّة طابت بذكرك حيث فاح مردّدا
لو انصفتك النـائباتُ لنيّرت عـاداتها ووقتك حادثة الردى
تتنزّل الأمـلاك حولك بالرضى ويعود فوقك باكرًا قطر الندى
وجميل حظّك في الاعالي رحمةٌ أرّخ وذكرٌ في الصحائف خُلّدا[3]

١٨٧١

١) راجع هذه القصيدة في ديوانه « ثالث القمرين » ص ٨٣ ، طبعة ميخائيل رحمه .

٢) ان رسالة الاب مناسا وقصيدته وجواب الشيخ عليها ، هي كلها مسطّرة في ديوان الاب مناسا الخطي المسمّى : « تذكرة الخليل في معرفة الجليل » وهو بيدنا . وقد علق الاب مناسا هذه الكلمة على قصيدة الشيخ الجوابية وهي بخطها الواحد :

« ولما كان الشيخ الموما اليه مريضاً ، شفاه الله فما اقتدر على الجواب فتعذر ورد ما قلّ من الابيات ، وان القليل لعزيز ، وهذه ابياته مشيرة على انه مريض ناهز النهاية . ومات رحمه الله بعد هنيهة وهذا قوله بعد الترجمة . . . »

٣) رسائل اليازجي ، الشيخ ابرهيم ، نشرها يوسف توما البستاني سنة ١٩٢٠ ، المطبعة اليوسفية بباب الخلق بمصر ص ١٠١ ، بقطع ربع في ١٧١ صفحة .

وقد عادت آثار كتابية هامة للشيخ ناصيف ، منها ارجوزته في الطب المسمّاة : « الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم » عثرنا على نسخة منها في بلدة كفرشيما مسقط رأسه ، بخط يده ، قدّمناها لصديقنا الاستاذ فؤاد افرام البستاني فنشرها بحرفها الواحد[1] .

ولا تزال هنا وهناك قصائد عديدة للشيخ نظمها في مناسبات شتى وظروف مختلفة لم تُنشر ظفرنا ببعضها في مخطوط خزانة كتب دير الشير بكين — سوق الغرب ، الحامل رقم ١٣٣ وعدد ٤٦ . وقد اتينا على وصفه . واننا نتابع نشر هذه القصائد غير المعروفة بتصديرها الحرفي ، مع الحواشي المعلقة على الهامش مشيرين اليها بكلمة : في الاصل ، على صفحات مجلة « المشرق » الزاهرة ، المجدّدة كالنسر شبابها مستنزلين على ضريح الشيخ اصفى الرحمات واغزر البركات ، عداد ما له من الحسنات والمبرّات

قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي على الدولة المصرية[2]

قد مدح الشيخ بهذه القصيدة العصماء المحبوكة حبك الزرد ، الامير محمد علي الشهير ، ذاكرًا ما له ولابنه ابرهيم من المواقع المشرفة في الحروب ، متطرقًا الى مدح الامير بشير الشهابي الكبير ، منوّهًا ببطولته ومضاء عزيمته وشدّة بأسه ورهبته وبطشه في معارك القتال والنزال ، وانتصاره على اهل بيت نكد ، الذين صافوه وهادنوه اولًا ، ثم خاصموه وعاربوه آخرًا ، فكرّ عليهم بسيفه وجحفله وهزمهم شرّ هزيمة الخ ... مما لا يخفى عن المطّلع على تاريخ البلاد وما جرى فيها من الحروب والاهوال ، في عهد الحكّام الاقطاعيين . وهذه هي قصيدة الشيخ ناصيف بنصها الواحد :

يا فاتح القطرين انت محمّدُ هل دون فتحك في البلاد سدّدُ
المُربُ تشهد والحفارة قبلها والزنجُ تشهد والجزائر تشهدُ
ما كان أبرَ ما فعلتَ وفوقه لو كان مثلك في البريّة يوجدُ
انت « العليُّ » كما يقال ونسله منك المعالي لم تزل تتولّدُ
سدتَ البلاد سيادة بويتهم فالارض دارك والخلائق أعبدُ

١) طالع (المشرق ٣١ [١٩٣٣] : ٦٧٦ — ٦٨٩ و٧٧١ — ٧٧٩ و٨٢٤ — ٨٣١)
٢) المخطوط : ص ٢٩٩

وأنيتنا باسم النبيّ وصهره ... وعدوت عزوها على ما سودُ
مهلًا عليك فليس ترضيك الدنى ... حتى يصافح أخمصيك الفرقدُ
واترك صبيًا في المكارم للورى ... لا تنسَ حلمك بنهم ولك اليدُ
جبلٌ بحرٌ الى الحجاز وظلُّهُ ... لحق الشآم وظلّ منه الأسودُ
لو كنت تنهرُ ارضهنّ تزلزلت ... ولو ازدجرتَ النيلَ اوشك يحمدُ

٥

يا سيدًا عُرف اسمه بالرفع لا ... بالنقض والتنوين ، انت المفردُ
بك يستعينُ الجيش حيث رميته ... بددًا وإياك الصوارم تعبدُ
لمّا بعثتَ من الكنانة سهمها ... حلفت عليه بانه لا يصردُ
ما زالت النار التي وُقدت له ... بَردًا عليه وناره لا تبردُ

٥

من مثلُ ابرهم الأبيغه ... يوم الكريهة ، والقنا المتأوّدُ
كالسيف حتى انه لا يُتّقى ... حذرًا ويُحسب انه لمخلدُ
ملكٌ يخاف ، الله ليس بحاسد ... ويخاف سطوته الملوك وتحسدُ
يمتاد سهد العين وهي قريرة ... من كل عين في حماه ترقدُ
يا سيدًا فيما يُقال حقيقة ... وعلى المجاز يقال غيرك سيّدُ
كثر اختلافُ الناس فيك وجهلهم ... والناسُ منهمُ كافرٌ وموحّدُ
أرأيتَ ما أجرى عداتُك همّةً ... سبقوا ولكن في الفرار وأجهدوا
يا يوم عمانَ ، الليب وقد درى ... بك قادمًا فمضى وأنّى يقعدُ
ولّى الوزيرُ يكاد يسبقُ سيرهُ ... ويودُّ لو أكلَ الطريقَ فينفدُ
أحد الصحابةَ بعدها وتخلّفت ... منها رجالٌ في « البُقيعة » سحّدُ
لو كنتَ تُصغي لاستمعتَ نوادبًا ... في الترك تندبُ اهلها وتُعدّدُ
ارسلتَ قبلَ الجيشِ جيشَ مهابةٍ ... جيشُ المنونِ لهوله يتبدّدُ
فأثبتْ مكانك وابعث أسلك بعدها ... وكفى القتال بهِ وانت موسّدُ
ولقد ضربتَ حصون « عكاء » التي ... كانت لهيبتها الفرائصُ ترعدُ
الله أكبرُ ليس دونك قلعةٌ ... تُمسى ولا صرحٌ أشمُّ ممرّدُ
خافت جبال الارض منك وقد رأت ... هذي النعال بمثلها تتردّدُ
وتحصّنت منك الاسودُ فلا نام ... قومًا بإغلاق الحصون استنجدوا
لو كان غيرك جاءها لقيتهُ كالمرآة م ... قابلها بصيرٌ أرمدُ
او كان دونك غيرها طارت الى ... مصر حجارتها وفيها أكبُدُ

أسأت « عبد الله »(١ ابن سعونة ورجالـهُ وفؤاده المتوقدُ
امسى يشدد قومهُ فغدا ومن لفؤاده بنيَّ تراه يشددُ
لما مررت به اسيرًا طائعًا خشعتْ له ابصار من يتفقدُ
دون التبصُّر في تقلب أمره سبب الرشادة عند من يترهدُ
خابت ظنون القوم فيه وظنه والظن اكثره يخيب ويفسدُ
لم يدر ان القتل اهون عند من دفع المنيَّة عنهُ وهي تعربدُ

يا ايها القمرُ الذي من حوله شُهُب الصواعق والسحاب الاسودُ
امطار راحتك الدماء من العدى يوم الوغى ، وعلى العفاة المسجدُ
الناس من قتلاك وهو بذنبهم حتى الحديد فما جنى والجلمدُ
ولقد دعوت امير قيس دعوةً والارض تبرق كالسماء وترعدُ
فأجاب مبتدرًا وطيّ جوابهِ غُبَرُ المذاكي(٢ والغبارُ الاكمدُ
شيخٌ له سنُّ الشيوخ وعقلهم وكأنهُ هو في العزيمة امردُ
فتكاد تعرفهُ الطريق اذا مشى من فوقها والسيف حين يجرَّدُ
الواصل البَرُّ الرؤوف القاطع الغازي الالوف الاريحيُّ الاحيدُ
هو طور لبنان العظيم وشخصهُ آل الشهاب فواحدٌ متعددُ
قد مهَّد الجبلَ الحميَّ بسيفهِ قوموا أنظروا كيف الجبال تمهدُ
وانقاد كل شموس قوم فانثنى ينقاد طوعًا واستراح المقودُ
حتى اذا ولّى كليبُ عن الحمى عبث الخضل بهِ وعاث المفسدُ
وتبلبلت تلك الجماعات التي غير البلابل لم تكن تتمودُ

يا صاحبَ الحسنات قد ضيَّعتها قبلًا اضاعتها العدى والحُسَّدُ
اودعتها من لا يقوم بحقها فظلمته فاذا بهِ يتمرَّدُ
عادتك الحسنى فتحسن يا « ابا سعدى »(٣ وعادته الجحود فيجحدُ
الحلم طبعٌ لا تفارقهُ ولو فارقته لانك اذ لا تقصدُ

« أبني أبي النكد » الذي قمتم به حتى لقيتم منه ما هو انكدُ

---

١) عبد الله باشا والي عكّا . طالع تقريره المطبوع المخطير عن عكا الذي ارسله الى محمد علي في مصر وقد نشرناه في مجلة « الورود » البيروتية السنة الثالثة جزء آذار سنة ١٩٥٠ ص ١٤
٢) المذاكي والمذكيات : الخيل التي تم سنُّها وكملت قوتها ، يريد بها الفتية .
٣) ابو سعدى : لقب الامير بشير شهاب الكبير ، نسبةً الى ابنته سعدى .

يا طالما عاهدتموه واعدا هيهات ليس ليوم عهدكم غدُ
ان كان غرّكمُ الغرور ! فربما غرّ المحالُ فتىً ، وحان المرشدُ
ولئن نسيتم ما مضى قدماً لكم بين القفار فانه يتجددُ
هذا ذكرتمُ فضل نعمته التي ضاق الثناء بها وضاق الغدفدُ
ولدلّها ثقلت فأعجز حملها فطرحتموها حين لم تتجلدوا

وصل «البشير» وقد قطعتم وهو قد كان النذيرُ لكم بما يتهدّدُ
لو كان يرضي الظالمين لكان من نظراتهم ، حاشاه مما تورِدُ
لا حدّ دونك في المكارم والعلى وعمى البقاء عليك ليس يحدّدُ
فالظلم الّا من طباعك يُتّقى والورد الّا عن جنابك أحمد

« لـ(للشيخ ناصيف اليازجي) ايضاً يرثي المطران اغناطيوس الدهّان »

سنة ١٨٢٤[1]

هل بعدُ يومك عند من لم يصبرِ غير الانين ولوعة المتحسرِ
ويمَ انتحالُ الصبر بعدك او ترى غادرت قلباً ليس بالمتفطرِ
هُ يومك في العباد وهوله ينصاع منه الهول كالمتحذّرِ
يوم من الكبرى لو تنبي به للشمس قبل ظهورها لم تظهرِ
حالت به الاحوال وانتسخت له فكأنه قد كان بعض الاعصرِ
وكأنّ لذّات الورى كانت الى اجل مسمّى منه لم يتأخّرِ
هو رعدةٌ في الناظرين وهيبةٌ خشعت له ابصارُ من لم ينظرِ
لا يوم يُقبل بعدُ إلّا خائفاً من كونه في حالة المستنكرِ
خطبٌ تفاسدُ العباد وانما خصّصتُ منه بالنصيب الاوفرِ
وعلمت إنّ الحبّ عجلة البلا فبحسب صفو الحب كان تحذّري
اطوي الدجى متخيّلاً لك صورة فأكاد اهوي فوقها كالمتري
وارى بعينيّ المنام كأنه رجلٌ سواك يقوم فوق المنبرِ
ولقد عجبت لمن نماك ولم تقد انفاسه غضّ النبات الاخضرِ
خفقت لمنطقه الجهاتُ كأنما هو صوتُ «اسرافيل» يوم المحشرِ
ما كان عهدي انّ شمساً أغربت في الشرق قبلك في التراب الاعفرِ
حتى وريتَ موسّداً في حفرةٍ فعجبت بعدك من بقاء المبصرِ

---

1) المخطوط ص ٤٠٥

مهلاً اداءهُ باكتناف الثرى أيكون تحت التراب دفن الجوهر
لو كنت تعلم ما لديك وما بهِ لم ترض منزلهُ بدار المشتري
هذه يمينك فأحلها فوق الورى نفض المجانب دون عقد الخنصر
وادر لحاظك في الأعلة نكفها مهنّ الاطبَّة بعد ذاك المنظر
ولقد ذكرتك فاضطربت مهابة فرأيت نفسي بعض ما لم يذكر
وخشيت من وطء التراب وتحته خطر من السرّ العظيم الاكبر
يا للمجانب كيف دائرة العلى حصرت برمس وهي ما لم يحصر
والبحر والبحر الخضرم ضمه بعض من البطحاء غير مقصر
حسدته افلاك الاثير فلم تزل اقلامها من غائبين وحضّر
وتعسّرت مهجُ الرجال ذواثبًا لو انها بعض الحضيض الاغبر
لو كان عند السحب علم مكانهِ الا على جنباته لم تمطر
ولو استقام البدر فوق ضيائه لم يدر نقصًا في حواشي الاشهر

ارثيك يا مولاي معتذرًا فقد بدل النحيب اطاعتي بتعذُّري
وعلى مَ تنطقني بلابل دونها لا يدّعي الانشاد نطق البحتري(١
لا استطيع لذكر نطقك منطقًا لو كنت انطق عن صحاح الجوهري
وكرهتُ انشاد القريض لانه طربُ المشوق ونهضة المتذكر
ولقد ذرفت على رثائك ادمعًا فجمعت بين منظَّم ومنثر
وعلى مَ انتدب الدموع نواقصًا لوفاء حزنٍ في المزيد الاكثر
لا تدعي بالخير قبلك انها لم يبق لي رمقًا فراقك فاعذر
لو ظلَّ في عينيَّ دمعٌ واحدٌ نكتبت حول ثراك خمسة اسطر
وايك ما كانت وثائك مقصرًا الّا حياة تلهف لم تقصر
لولا تمثل لون ثوبك لم يكن ثوب الحداد عليَّ بالمتنبر
قد كان يحسد منظري بك مسمعي طورًا ويحسد مسمعي بك منظري
حتى رجعت وقد فقدتك حائدًا من ليس مستمعًا وليس ببصر
هالت منيتك الشجاع فاعجزت كفيه عن سل الحسام الابتر
وكفى لهول الجيش ذكرك قائدًا قد مات حبر الشرق بين العسكر
اغناطيوس لقد تركت عصابةً عرفت بفقدك ذلّة المتكبر
باتت على البطحاء صافنةً فلو سُئلت اجابت ليتنا لم نُفطر(٢

١) شاعر كان شديد العجب في انشاده (حاشية في الاصل) .
٢) صافنة : قائمة . ونُفطر : نُخلق (حاشية في الاصل) .

لا بدع ان بكت العيون عليك من ... كمد وفاضت بالدموع الاعين
فلقد بكتك هياكل ومعابر ... اخذت حجارتها اشتياق المعجر(١
يافه من خلفت بعدك راعياً ... يرعى الرعية تحت راية قيصر
ولئن تركت الوعظ انذاراً فقد ... اضحى الصبي على لسان المنذر
من للبلاغة والبراعة والحجى ... والعلم بعدك والجلاء النير
من بعد فقدك للرشاد يُرى ومَن ... يُرجى لحل المشكل المتعسر
ويح الرعية من ترى فقدت وهل ... ترجو الخليفة من توالي الاعصر
لم تأتها منك البشارة اسفاً ... حتى نُعيتَ فليت لم تتبشر
ليس الحبيب وان تطاول عهده ... إلّا خيالاً في منام يعتري
تتداول الابصار منظر وجهه ... حيناً فتسلك فكرة المتفكر
لو كنتَ تنصفُ يا دفيناً في الثرى ... إلّا بطيّ قلوبنا لم تُقبر
وعجبت مما كفّنوك وانت في ... كفنٍ من الانوار ابيض عبقري
ماذا اعتدادي بالرثاء وهل ترى ... يدنو البغاث الى مطير الانسر
ان قيل فضلك عند عارفه فما ... خطبُ ابن خطاب وشعر الاشعر
فعلى ثرى ذاك الضريح تحيّة ... فتحت بعرف الطيّبات العنبري
فلقد خلعتَ عليه ثوب انارة ... من سندس يقق الحواشي اخضر
ويسُّ بوجه الارض الّا انه ... كنز يضم ذخيرة لم تذخر
خلّفتَ اعضاء مؤرخة به ... وضمدت انت الى البرين الاكبر

٧ ٥٧٠ ٤٥١ ٤١ ٥٠١ ٢٥٤

سنة ١٨٣٤

ولما تأريخ عن ضريحه في دير مار سمعان فقال

يا زائراً هذا المقام مصلياً ... لا تخش انّ وليّه سمعانُ
والثمْ ضريحاً حل فيه مؤرخاً ... اغسطينوس السيّد الدهقانُ

١٥٣٨ ١٠٥ ٩١

٣) ١٨٣٤

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) ايضاً

وقد سأله بعض المدرّسين في بيروت يستشفع بها الى الشيخ احمد المرّ القاضي بتخفيف اجرة مدرسته »(٢

يا احمد الدهر الذي خفقت به ... رايات فضلك وهي فوق الاوسُ

١) ما حول العين (في الاصل) .
٢) لا ينطبق حساب هذا التاريخ على سنة ١٨٣٤ التي توفي فيها الدهان ، بل على سنة ١٧٢٤
٣) المخطوط المذكور ص ٤٠٩

اشكو اليك ولا احتياج لاني ... ماذا يعوزك شرح حال مدثر
كم من صحاح في الرجال عواجز ... عن قوت اطفال لهم لم تفرس
ما حال امرئ يرتجي لمعاشه ... طفلاً ينوم يأكل ويلبس
هذا وما بي ضيق رزقي لو غني ... بيديَّ وهو من الشريك بمحرس
لكنه متبددٌ مثل الهبا ... عصفت به بعضُ الرياح الدرَّس
جار الدريم عليَّ وهو مطالبي ... للضعف اضافاً باجرة بخاس
أيكون مأجور المكان ولم اكن ... مأجور انعاب وحمل ترمس
فاذا دفعت من الدراهم خمسة ... في الشهر مكتفياً بخمسة أفلس
اترى تكون العيشُ عندي مأكلاً ... واخيط اوراق الكتاب واكتسي
مالي سوى الطاف حلمك عدة ... عند اضطراري ، يا رجاء المؤيس
انت الملاذُ بنفس عفوتك(١ اذا ... ما اعوز الانصاف بين الانفس
فاجعل بحقك لي طريقة من رأى ... حسن التصرف مُنع غريم المفلس
وبغيت مقصود الجناب مؤملاً ... متوشحاً ثوب الثوابُ الانفس

« وله (للشيخ ناصيف اليازجي) في النفس عنانيا النير عند رجوعه من سفر(٢ »

عاد الديارَ فكان خير نزيل ... وكذا البدور تعود بعد افول
هو مقبل كان البشير بوفده ... نشر العبير على نسيم اصيل
قدم الحماة ولو يطير قُبيلهُ ... ربع لطار اليه غير كليل
حتى اذا وطأنه أخمص رجله ... عدلت شهود الشوق بالتقبيل
ربعٌ اضاءَ بمن اناه كأنما ... نفذ الضياء زجاجة الفنديل
وعلى مَ لا يزهو وثَمَّ فنارةٌ ... تكفي الكنانة عن مفيض النيل
يا حسنه دبرًا لعمرك انه ... هو برجُ بدرٍ لم يكن بضئيل(٣
بدرٌ اقام على التمام قريبهُ ... خصبٌ ومن غدديه غير ضليل
قد لبوه منيَّرًا ولربما ... خفي الصواب على فؤاد جهول
فهو المنير وفاق خفته ومن ... قال المنيَّرُ ليس غير ثقيل
سبَّاق غايات اذا ما جئته ... خلت الوصول اليه قبل وصول

١) العفوة : ما حول الدار ، والساحة والمحلة كالعفاة ج عفاء . يقال : « ما يطور بعفوته احدٌ » .
٢) المخطوط ص ٤٤٤
٣) مختف (حاشية في الاصل) .

واذا سألت به اشتبهت سهوله وكفيت فيه ملالة المسؤول
حرّ الادم له الفضائل اعبد لا يظفرنّ امتهـا بسبيل
وعلى مَ تنتق من يديه وردتها طوع العنان وليس فضل بديل

٥

ولربّ محبرة لديه تخالها بحرًا وليست بعض جزء الميل
تتدفق الاسرار منها مثلما دفقت غوادي السيل فوق سيل
غاصت بها اقلامه فانت بما يختار من اكسيرها المحلول
حتى اذا عادت به رقصت على وجه الصحيفة ذات جر ذيول
وقريحة في النظم دون رواتها طلّع القريضُ بنزّةٍ وحجول
كلف القريض بسحرها فكأنما الحاظ بثنة وهو قلب جميل
غرّاء تحسدها معاني نظمها لطفًا وتأنيها بحسن قبول
ظفرتْ بأبعد غاية فتظنها شطت وتأمر ركبها برحيل
ودريّةٌ في الطب يحسد خوضها في المشكلات حُنين اسرائيل
جلت(١ المنون عن النفوس فانه لصديقها وعدوُّ عزرائيل
وسناقب كالدرّ الّا انها كانت مترّهةً عن التخليل
عزت نظائرها وهان لفاؤها فاعجب لحال عزيزها المبذول
وله على الفضل المطير تواضع متفاوت الموضوع والمحمول
كالشمس تنفع من تراه وعندها لا فرق بين نباهة وخمول
وانير مغربة فروع فضائلٍ قامت من التقوى بغير اصول
ومتى طلبت تقىً بغير تواضعٍ كنتَ المسافرَ في طلاب الغول
فله در كمالهِ من فاضلٍ سامي الفضائل واجبُ التفضيل
افعالهُ ومقالهُ وخلالهُ جلّ ينار بها على التفصيل
هو راهبٌ رهب الاله فأرهبت طلواته الزأرات بالترتيل
شاكي السلاح سلاحهُ من كاتبٍ وفرنسده جُنَلٌ من الانجيل

٥

نفسي فداؤك يا حنانيا الذي أضحت في الالطاف كل سبيل
لولا التيمّنُ باجتلاء صفاتكم أحسبتُ ما انشأت بعض فضول
فاليك اصدق ما يقال وانه جهد المقلّ فلم يكن بقليل
هذا وثاق عهودنا فتوثّقه والله أكبر شاهد ووكيل

١) جلا القوم عن المكان : أخرجهم قهرًا (في الاصل) .

«وله (للشيخ ناصيف اليازجي) في جواب رسالة لبعض العلماء من الرهبان[1]»

لبّيك فادعُ النظم كيف تشاء ... يا من به يتفاخر الانشاء
يا فاضلاً سمح الزمان لنا به ... بك في الزمان بشائر وهناء
سوّدت بيضاء الصحائف فاشتهت ... لو اشبهتها الفضّة البيضاء
وأجاتَ أكناب اليراع قطالما ... حسدت مضاها الصحدة السمراء
ولربّ سافرة القناع ظننتها ... محجوبة فاذا الحجابُ ضياء
لاقيتُها فرجعت عنها هيبة ... فكأنما ليس الوداع لقاء
عرّيتَه أهدى اليّ بنسجها ... قسٌّ فأغبطني بها الفرّاء
مزج السواد بياضها فكأنما ... خودٌ يلوح وشاحها لمياء

يا سيد الكرماء عند نواله ... لا بدع انْ دانت لك الكرماء
تُعطي الكرام على المسائل فضّةً ... والجوهر المبذول منك عطاء
أخجلتني فوجمت حين مدحتني ... فكأنما ذاك المديح هجاء
ولئن أصبت التقلق بينكما فكم ... في فرجة الجبلين رُنّ صداء
انا قطرة من فيض بحرك زدتني ... ماء فكاد يمتُّ مني الماء
واذا مدحت صنيع كفّك لم يكن ... إلّا النسيبَ عليك منهُ ثناء

قاليكما بنت القريحة ترتجي ... عذر الكرام لانها عذراء
راودتها وهي الأبيّة هبةً ... فكأني التسنام وهي التاء
وبقيت ما حيّا النسيم اراكةً ... سجدت فصلّت فوقها الورقاء
وأجاب نظم الشعر حين دعوتهُ ... لبّيك فادعُ النظمَ كيف تشاء

(للمقال صلة)

---

١) المخطوط ص ٤٤٦